

كُلُّهُنَّ

تفسير الطبري

جمع واعداد

ابراهيم محمد الياضي



درر من
تفسير الطبري





لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



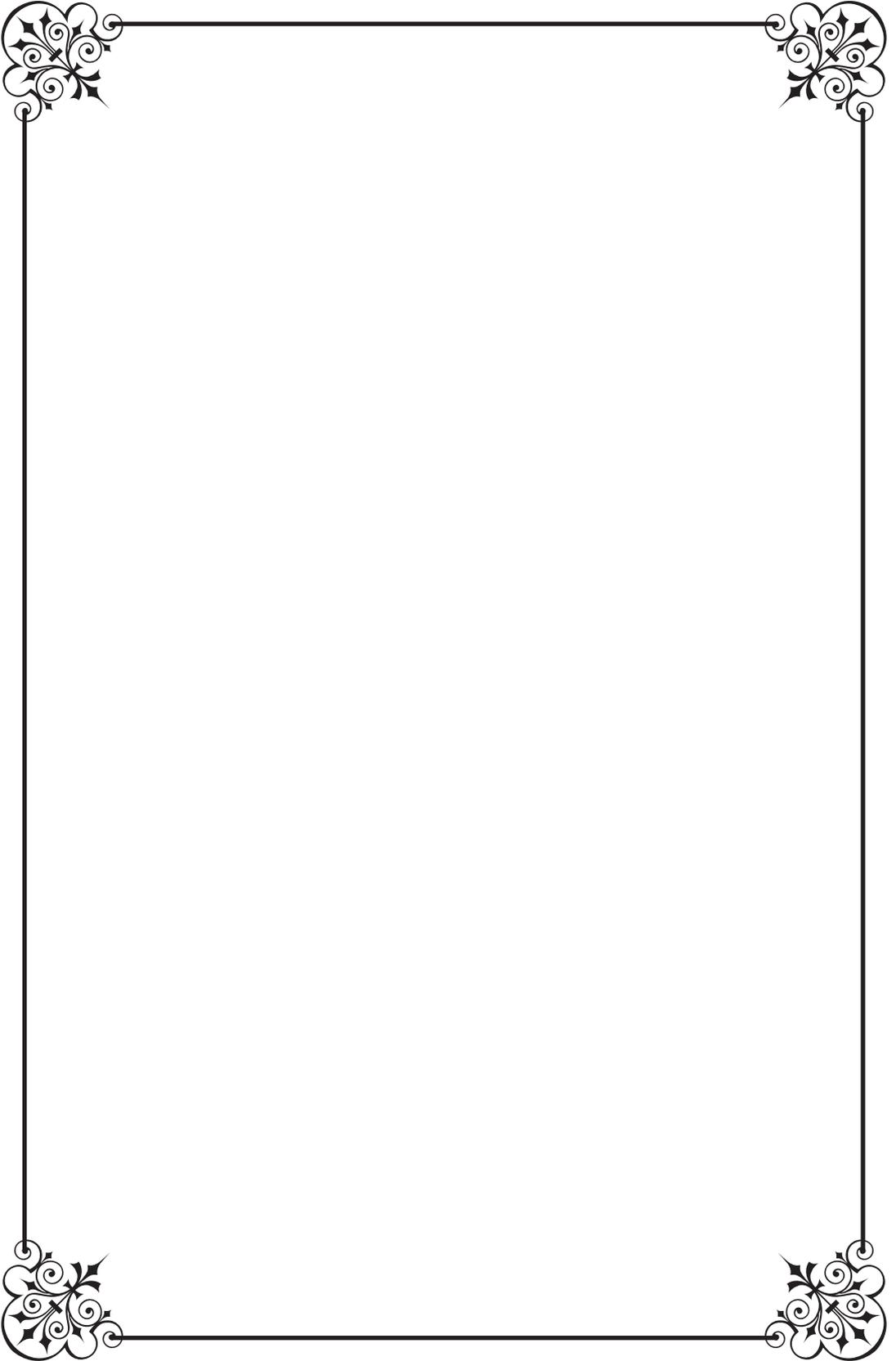
درر من

تفسير الطبري

تأليف

إبراهيم محمد الياضي







قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

إني لأعجب لمن يقرأ القرآن،
كيف يلتذُّ به ولم يفهم معناه!



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





در من تفسير الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقرات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فبين يديك -أيها القارئ- ستون درة جمعتها لك من تفسير الإمام الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَسْمَى (جامع البيان في تأويل القرآن)**. وهذه الدرر والفوائد في العقيدة والأخلاق وسائر العبادات والمعاملات... وغيرها.

ولما كان الكثير من الناس لا يطلعون على هذه الكتب -ومنها تفسير الطبري- ولا يعرفون قيمة ما فيها من الفوائد والدروس...؛ انتقيت من هذا الكتاب هذه الدرر والفوائد في كتاب يكون في متناول الجميع؛ لتعم فائدتها، ويسهل على الجميع الاطلاع عليها.

انتقيت من هذا الكتاب حسب ما رأيت فيه النفع والفائدة، ولا أدعي أنني جمعت كل الدرر؛ فقد يأتي بعدي من يطلع على تفسير الطبري؛ ليستخرج أضعاف ما استخرجته.

قال الإمام الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «إني لأعجب لمن يقرأ القرآن، كيف يلتذُّ به ولم يفهم معناه!». ولم يفهم معناه!

منهجي وعملي في هذا الكتاب:

١- لم أذكر من الفوائد إلا ما يراه الطبري أنه الصحيح في تفسير الآية وتركت الروايات التي يذكرها في تفسير الآيات؛ لاختلاف أراء الصحابة





درر من تفسير الطبري

والتابعين في تفسير معنى الآية وكثرة إيراد الطبري للروايات؛ حيث نقل في تفسيره أكثر من ثمانٍ وثلاثين ألف رواية فلم أنقل أي رواية منها؛ لأن الهدف من الكتاب هو جمع الفوائد بأسلوب سهل مختصر وليس التطويل.

فمثلاً، ذكر الطبري قريباً من ستين حديثاً وأثراً حول اختلاف الصحابة والتابعين في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وغير ذلك في كل تفسير الطبري؛ لذلك نقلت الفوائد التي من كلام الطبري حول الآية ولم أنقل ما نقله عن غيره؛ لأن الطبري انتهج في تفسيره نهج جمع وحشد الروايات حول الآية سواء وافق أقوالهم أم لم يوافق؛ فهو كتاب حشد فيه الروايات؛ ولكنه كان ينهج أحد منهجين:

الأول: قبل حشد الروايات كان يفسر الآية، ثم يذكر الأقوال حولها.

الأخر: بعد عرض الأقوال والروايات كان أحياناً يذكر الراجع وما رأى أن الأرجح والأولى بتفسير الآية؛ وكنت أجمع من الدرر والفوائد من هاتين الطريقتين؛ إما من خلال المنهجية الأولى أو الأخرى.

إبراهيم محمد اليافعي

رمضان ١٤٤٣هـ

اليمن - يافع - المفلحي

اتصال وواتساب / ٠٠٩٦٧٧٣٩٨٠٢١٥٣





من هو ابن جرير الطبري؟

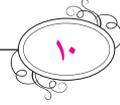
هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام المفسر أبو جعفر الطبري.

مولده ونشأته:

وُلِد الطبري عام ٢٢٤ هـ في طبرستان في مدينة آمل (إحدى مدن إيران حالياً)، ونشأ الطبري بآمل، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته، وتفوّس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم، فتولى العناية به ووجهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، وخاصةً أن والده رأى رؤيا تفاعل بها خيراً عند تأويلها.

فقد رأى أبوه رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول ومعه كيس مملوء بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله، وقصّ الأب على مُعَبّر رؤياه، فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبّ عن شريعة ربه. ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزاً له على طلب العلم والجد والاجتهاد فيه والاستزادة منه، والانكباب على تحصيله ثم العمل به، والتأليف فيه؛ ليدافع عن الحق والدين. وظهرت على الطبري في طفولته سمات النبوغ الفكري، وبدت عليه مخايل التفتح الحاد والذكاء الخارق والعقل المتقدم، والملكات الممتازة، وأدرك والده ذلك فعمل على تنميتها وحرص على الإفادة والاستفادة منها؛ فوجهه إلى العلماء ومعاهد الدراسة، وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء





درر من تفسير الطبري

من شئون الحياة ومطالبها، وخصص له المال للإنفاق على العلم والتعلم، وسرعان ما حقق الطبري أحلام والده، وزاد له في آماله وطموحه. وقد حرص والده على إعانتته على طلب العلم منذ صباه، ودفعه إلى تحصيله، فما كاد الصبي الصغير يبلغ السن التي تؤهله للتعليم، حتى قدمه والده إلى علماء مدينته. وسرعان ما تفتَّح عقله، وبدت عليه مخايل النبوغ والاجتهاد، حتى قال عن نفسه: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة.

النبوغ والذكاء:

كان الطبري موهوب الغرائز، وقد كان ذو ذكاء خارق، وعقل متقد، وذهن حاد، وحافظة نادرة، وهذا ما لاحظته فيه والده، فحرص على توجيهه إلى طلب العلم وهو صبي صغير، وخصص له موارد بستانه لينفقها على دراسته وسفره وتفرغه للعلم.

ورع الطبري وزهده:

كان الطبري على جانب كبير من الورع والزهد والحذر من الحرام، والبُعد عن مواطن الشُّبه، واجتناب محارم الله تعالى، والخوف منه، والاعتصام في المعيشة على ما يردُّه من ناتج أرضه وبستانه الذي خلّفه له والده.

قال ابن كثير: «وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان من كبار الصالحين».

وكان الطبري زاهداً في الدنيا، غير مكترث بمتاعها ومفاتها، وكان يكتفي بقليل القليل أثناء طلبه للعلم، ويمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والأمراء.





درر من تفسير الطبري

عفة الطبري وابتاؤه:

كان الطبري عفيف اللسان، يحفظه عن كل إيذاء، وكان متوقفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، ولما كان يناظر مرة داود بن علي الظاهري في مسألة، فوقف الكلام على داود، فشق ذلك على أصحابه، فقام رجل منهم، وتكلم بكلمة مؤلمة وموجعة لأبي جعفر، فأعرض عنه، ولم يرد عليه، وترفع عن جوابه، وقام من المجلس.

وكان الطبري عفيف النفس أكثر من ذلك، فهو مع زهده لا يسأل أحداً، مهما ضاقت به النوائب، ويعف عن أموال الناس، ويترفع عن العطايا.

تواضع الطبري وعضوه:

كان الطبري شديد التواضع لأصحابه وزواره وطلابه، دون أن يتكبر بمكانته، أو يتعالى بعلمه، أو يتعاضم على غيره، وكان لا يحمل الحقد والضعينة لأحد، وله نفس راضية، يتجاوز عن أخطأ في حقه، ويعفو عن أساء إليه.

وكان محمد بن داود الظاهري قد اتهم الطبري بالأباطيل، وشنع عليه، وأخذ بالرد عليه؛ لأن الطبري ناظر والده، وفند حججه، ورد آراءه، فلما التقى الطبري مع محمد بن داود تجاوز عن كل ذلك، وأثنى على علم أبيه، حتى وقف الولد عن تجاوز الحد، وإشاعة التهم على الطبري.

ومع كل هذا التواضع، وسماحة النفس، والعفو والصفح، كان الطبري لا يسكت على باطل، ولا يمالئ في حق، ولا يساوم في عقيدة أو مبدأ؛



درر من تفسير الطبري



فكان يقول الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، شجاع القلب، جريئاً في إعلان الصواب مهما لحق به من أذى الجهال، ومضايقة الحساد، وتخرصات الحاقدين.

محنته:

تعرض الطبري لمحنة شديدة في أواخر حياته بسبب التعصب المذهبي، فلقد وقعت ضغائن ومشاحنات بين ابن جرير الطبري ورأس الحنابلة في بغداد أبي بكر بن داود أفضت إلى اضطهاد الحنابلة لابن جرير، وكان المذهب الحنبلي في هذه الفترة هو المسيطر على العراق عامةً وبغداد خاصةً، وتعصب العوام على ابن جرير؛ حتى منعوا الناس من الاجتماع به، وظل ابن جرير محاصراً في بيته حتى تُوفي.

مؤلفاته:

- ١- تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن).
- ٢- تاريخ الطبري، المسمى (تاريخ الأمم والملوك).
- ٣- آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.
- ٤- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
- ٥- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته).
- ٦- الفصل بين القراءات.
- ٧- آداب القضاة.
- ٨- آداب النفوس.
- ٩- آداب المناسك.





درر من تفسير الطبري

- ١٠- تهذيب الآثار.
- ١١- فضائل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- ١٢- ذيل المذيل.

وفاته:

توفي الطبري في بغداد وقت المغرب عشية يوم الأحد ٢٦ من شهر شوال سنة ٣١٠هـ، وعاش الطبري في محراب العلم والعمل حتى جاءته الوفاة. قال ابن كثير: توفي الطبري عن عمر ناهز الثمانين بخمس سنين.



سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمداً بتعليمه تقديم ذكر أسائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقتهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم وحاجاتهم.

★ الثانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كل ما [خلق] من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم. فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا.





درر من تفسير الطبري

★ الثالثة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشع ونذلُّ ونستكين، إقرارًا لك يا ربنا بالرُّبوبية لا لغيرك، وإيَّاكَ نُوحِدُ ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك.
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: إيَّاكَ نَسْتَعِينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

★ الرابعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦.

[في الآية] مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَإِصَابَةَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيهَا أَمْرُهُ بِهِ وَنَهَاةُ عَنْهُ.
[ومعاني هذه الآية]: اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، مَخْلِصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَوْثَانِ، فَأَعِنَّا عَلَى عِبَادَتِكَ، وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ مِنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، مِنْ السَّبِيلِ وَالْمَنْهَاجِ.



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١)

السورة من أولها - وإن كانت الآيات التي في أولها في نعت المؤمنين - تعريض من الله عز وجل بدم كفار أهل الكتاب، الذين زعموا أنهم مصدقون بما جاءت به رسل الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه، وهم بمحمد صلى الله عليه وسلم مكذبون، ولما جاء به من التنزيل جاحدون، ويدعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصاري؛ فأكذب الله قولهم ذلك بقوله: ﴿الْمَرْءُ الَّذِي كَتَبَتْ لَهُ فِيهِ هُدًى لِمَنْقِبٍ﴾ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وأخبر جل ثناؤه عباده: أن هذا الكتاب هدى لأهل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، المصدقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى خاصة، دون من كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وادعى أنه مصدق بمن قبل محمد عليه الصلاة والسلام من الرسل وبما جاء به من الكتب.

ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه وإلى من قبله من الرسل بقوله: ﴿أُولَئِكَ





در من تفسير الطبري

عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾؛ فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار.

★ الثانية: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾.

إنما أخبر الله تعالى نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الذين كفروا به من أخبار اليهود أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها فلا يعقلون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى موعظةً وَعَظَّمَهُمْ بها فيما آتاهم من علم ما عندهم من كُتْبِهِ، وفيما حدّد في كتابه الذي أوحاه وأنزله إلى نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى سمعهم، فلا يسمعون من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ الله تحذيراً ولا تذكيراً ولا حجةً أقامها عليهم بنبوته، فيتذكروا ويحذروا عقاب الله عَزَّوَجَلَّ في تكذيبهم إياه، مع علمهم بصدقه وصحة أمره. وأعلمه مع ذلك أنّ على أبصارهم غشاوةً عن أن يُبصروا سبيل الهدى، فيعلموا قُبْحَ ما هم عليه من الضلالة والردي.

★ الثالثة: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا بألستهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإقرار به، وقولهم له وللمؤمنين: آمناً بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، حتى حُكِمَ لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين؛ في حَقْنِ الدماء والأموال وفي المناكحة والموارثة؛ كمثل استضاءة النار بالنار، حتى إذا [فرح]



درر من تفسير الطبري

بضياتها، وأبصر ما حوله مُستضيئاً بنوره من الظلمة؛ خمدت النار وانطفأت؛ فذهب نورُه، وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة.

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئاً بضوء القول الذي دافع عن [نفسه] في حياته من القتل [وغيره]، مع استبطانه ما كان مستوجباً به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه - تُحِيلُ إليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع، حتى سَوَّلَ له نفسه - إِذْ وَرَدَ على ربه في الآخرة - أنه ناجٍ منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق.

ألا تسمع قول الله جل ثناؤه إِذْ أَخْبَرَ خَيْرَهُمْ عِنْدَ وَرُودِهِمْ عَلَيْهِ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]؛ ظننا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة، في مثل الذي كان به نجاتهم من القتل والأسر وسلب المال في الدنيا من الكذب والإفك، وأن خداعهم نافعهم هنالك نفعه إياهم في الدنيا، حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال، واستهزاء بأنفسهم وخداع، إِذْ أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

★ الرابعة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣)

وهذا من الله عَزَّجَلَّ احتجاجٌ لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضالاهم، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].



حيث يقول الله جل ثناؤه: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين، في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه؛ فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول؛ فأتوا بحجة تدفع حُجته، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة: أن يأتي برهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق. ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي -عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تأتوا بسورة من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك - وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة، فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبائي على صدقه، وحجته على نبوته من الآيات، ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي؛ فيتقرر حينئذ عندكم أن محمداً لم يتقوله ولم يخلقه، لأن ذلك لو كان منه اختلافاً وتقولاً لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله؛ لأن محمداً صلى الله عليه وسلم بشرٌ مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذراية اللسان.

وإنما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبية صلى الله عليه وسلم بما احتج به له عليهم من القرآن؛ إذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان، إذ كان القرآن بياناً مثل بيانهم، وكلاماً نزل بلسانهم؛ فقال لهم جل ثناؤه: وإن كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدي من القرآن من عندي، فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية إذ كنتم عرباً، وهو بيان نظير بيانكم، وكلام شبيه كلامكم. فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن؛ فيقدرُوا أن يقولوا: كلفتنا ما لو



درر من تفسير الطبري

أحسنَّه أتينا به، وإنا لا نقدر على الإتيان به لأننا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الإتيان به، فليس لك علينا بهذا حجة، لأننا - وإن عجزنا عن أن نأتي بمثله من غير ألسنتنا لأننا لسنا من أهله - ففي الناس خلقٌ كثير من غير أهل لساننا يقدرُ على أن يأتي بمثله من اللسان الذي كلفتنا الإتيان به. ولكنه جل ثناؤه قال لهم: اتوا بسورة مثله؛ لأن مثله من الألسن ألسنكم، وأنتم - إن كان محمدٌ اختلقه وافتراه إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم - أقدِرُ على اختلاقه وتأليفه من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن لم تكونوا أقدِرَ عليه منه، فلن تعجزوا - وأنتم جميعٌ - عما قدر عليه محمدٌ من ذلك وهو وحيدٌ، إن كنتم صادقين في دعواكم وزعمكم أن محمدًا افتراه واختلقه، وأنه من عند غيري.

★ الخامسة: ﴿فَلَقَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٧)

إن الله جل ثناؤه هو التَّوَّابُ على من تاب إليه - من عباده المذنبين - من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه. وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه، إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه. فكذلك توبة الله على عبده، هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه.

وأما قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾، فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه، وإقالة عثرته، وصفحته عن عقوبة جُرمه.



★ السادسة: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وليست اليهود -يا محمد- ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم؛ لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهودياً نصرانياً، وذلك مما لا يكون منك أبداً، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن سبيل إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: قل -يا محمد- لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، يعني إن بيان الله هو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بيننا، فهلّموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه، وهو التوراة التي تقرّون جميعاً بأنها من عند الله،



درر من تفسير الطبري

يتضح لكم فيها المحقُّ منا من المبطل، وأئنا أهل الجنة، وأئنا أهل النار، وأئنا على الصواب، وأئنا على الخطأ.

وإنما أمر الله نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه؛ لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى، وبيان أمر محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأن المكذب به من أهل النار دون المصدق به.

★ السابعة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٣)

سيقول السفهاء من الناس لكم: أيها المؤمنون بالله ورسوله إذا حولتم وجوهكم عن قبلة اليهود التي كانت لكم قبلة قبل أمري إياكم بتحويل وجوهكم عنها شَطْرَ المسجد الحرام، أي شيء حول وجوه هؤلاء فصرّفها عن الموضع الذي كانوا يستقبلونه بوجوههم في صلاتهم؟

فأعلم الله جل ثناؤه نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما اليهود والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبلة أصحابه عن الشام إلى المسجد الحرام، وعلمه ما ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب، فقال له: إذا قالوا ذلك لك يا محمد، فقل لهم: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وكان سبب ذلك أنّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صلّى نحو بيت المقدس مُدَّة، ثم أراد الله تعالى صَرَفَ قبلة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى المسجد الحرام، فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهه ووجه أصحابه شطره، وما الذي ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب.





در من تفسير الطبري

قُلْ يَا مُحَمَّد: إِنَّ اللَّهَ هَدَانَا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَضَلَّكُمْ -أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ وَجَمَاعَةُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ- فَخَذَلَكُمْ عَمَّا هَدَانَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ.

★ الثامنة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩).

جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس. وكم من رجل قد همَّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حَجَزَ بالقصاص بعضهم عن بعض؛ وما أمر الله بأمرٍ قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمرٍ قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يُصَلِّحُ خَلْقَهُ.

★ التاسعة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨).

ولا يأكل بعضكم مآل بعض بالباطل. فجعل تعالى ذكره بذلك آكل مال أخيه بالباطل، كالأكل مآل نفسه بالباطل.

ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]؛ بمعنى: لا يلزم بعضكم بعضًا، ولا يقتل بعضكم بعضًا.

[وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]؛ أي يسلم بعضكم على بعض]؛ لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولا مزه كلامز



درر من تفسير الطبري

نفسه، [والذي يرد السلام على أخيه كمن يسلم على نفسه]، وكذلك تفعل العرب تكني عن نفسها بأخواتها، وعن أخواتها بنفسها.

فتاويل الكلام: ولا يأكل بعضكم أموال بعض فيما بينكم بالباطل. وأكله بالباطل: أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لأكله.

★ العاشرة: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١).

الحسنة من الله عَزَّجَلَّ [في الدنيا]؛ العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك، والعلم والعبادة.

وأما في الآخرة، فلا شك أنها الجنة، لأن من لم ينلها يومئذ فقد حُرِم جميع الحسنات، وفارق جميع معاني العافية.

★ الحادية عشرة: ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣١٢).

يعني جل ثناؤه بذلك: زَيْنَ للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا العاجلة اللذات، فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة، ويطلبون فيها الرياسات والمباهاة، ويستكبرون عن اتباعك يا محمد، والإقرار بما جئت به من عندي، تعظُّمُ منهم على من صدَّقك واتَّبَعك، ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيَّان، في تركهم المكاثرة، والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الأموال بطلب الرياسات وإقبالهم على طلبهم ما عندي برفض الدنيا وترك زينتها، والذين عملوا لي وأقبلوا على طاعتي، ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها اتباعاً لك، وطلباً لما





در من تفسير الطبري

عندي، واتقاءً منهم بأداء فرائضي، وتجنب المعاصي [فهم] فوق الذين كفروا يوم القيامة؛ بإدخال المتقين الجنة، وإدخال الذين كفروا النار.

★ الثانية عشرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤).

فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فثبتوا بما ابتلوا واختبروا به من البأساء؛ وهو شدة الحاجة والفاقة، والضراء؛ وهي العِلل والأمراض، ولم تزلزلوا زلزالهم؛ يعني: ولم يصيبكم من أعدائكم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى تستبطؤون نصر الله إياكم، فتقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبركم الله أن نصره منكم قريب، وأنه مُعليكم على عدوكم، ومظهركم عليه، فنجز لكم ما وعدكم، وأعلى كلمتكم.

★ الثالثة عشرة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦).

يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تكرهوا القتال، فإنكم لعلكم أن تكرهوه وهو خير لكم، ولا تحبوا ترك الجهاد، فلعلكم أن تحبوه وهو شر لكم.



درر من تفسير الطبري

والله يعلم ما هو خيرٌ لكم، مما هو شر لكم، فلا تكررُوا ما كتبتُ عليكم من جهاد عدوكم، وقاتل من أمرتكم بقتاله، فإنني أعلم أن قتالكم إياهم، هو خيرٌ لكم في عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم، يحضهم جل ذكره بذلك على جهاد أعدائه، ويرغبهم في قتال من كفر به.

★ الرابعة عشرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فِيضِّلِعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...﴾ (٢٤٥)

إنما سماه الله تعالى ذكره قرضًا؛ لأن معنى القرض: إعطاء الرجل غيره ماله مملوكًا له، ليقتضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة؛ [سماه الله قرضًا].

وإنما جعله تعالى ذكره قرضًا حسنًا؛ لأن المعطي يعطي ذلك عن [أن] الله حثه عليه؛ احتسابًا من العبد ذلك؛ فهو لله طاعة، وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه.

★ الخامسة عشرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

واحدروا -أيها الناس- يومًا ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه، أن [تأتوا وتقبلوا على الله] بسيئات تهلككم، أو بمخزيات تخزيكم، أو بفاضحات تفضحكم؛ فتهتك أستاركم، أو بموبقات توبقكم؛ فتوجب لكم من عقاب





٢٧

درر من تفسير الطبري

الله ما لا [طاقة] لكم به، وإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم توبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، تُوفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا [تُترك] فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أُحضرت، فوفيت جزاءها بالعدل من ربها، وهم لا يظلمون. وكيف يظلم من جوزي بالإساءة مثلها، وبالחסنة عشر أمثالها؟! كلا بل عدلٌ عليك أيها المسيء، وتكرّمٌ عليك فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤُ ربه، وأخذ منه حذرَه، وراقبه أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، فإنه **عَزَّجَلَّ** حذر فأعذر، ووعظ فأبلغ.



سُورَةُ الْعَمْرَانِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۗ﴾ (٢٨)

هذا نهي من الله **عَزَّجَلَّ** المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً؛ ومعنى ذلك: أيها المؤمنون لا تتخذوا الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهروا بهم على المسلمين، وتدلوونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾؛ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل.

ويخوِّفكم الله من نفسه أن تتركبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه، فإن الله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم، ويوم حشركم لموقف الحساب؛ يعني بذلك: متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به، وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نالكم من عقاب ربكم ما لا قبيل لكم به [ولا طاقة ولا تحمّل]، يقول: فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه، فإنه شديد العقاب.



★ الثانية: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٧).

هذا تكذيبٌ من الله **عَزَّجَلَّ** دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادَّعوا أنه كان على ملتهم، وتبرئة له منهم، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاءً منه **عَزَّجَلَّ** لأهل الإسلام ولأمة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولا كان من المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان أو مخلوقاً دون خالقه الذي هو إله الخلق وبارئهم، ولكن كان حنيفاً متبعاً أمر الله وطاعته، مستقيماً على محجة الهدى التي أمر بلزومها، مسلماً خاشعاً لله بقلبه، متذلاً له بجوارحه، مدعناً لما فَرَضَ عليه وألزمه من أحكامه.

★ الثالثة: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧).

شَبَّهُ ما ينفق الذين كفروا وما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القربة إلى ربه وهو لوحداية الله جاحد، ولمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مكذب، في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحل [ومنعدم] عند حاجته إليه، ذاهبٌ بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه، كشبه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد زرع قوم ورجوا [نفع



درر من تفسير الطبري

وحصاد هذا الزرع] وعائدة نفعه؛ فأهلكت الريح التي فيها الصرُّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم.

يقول تعالى ذكره: فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته -حين يلقاه- يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها.

وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ظلمًا منه لهم، أو وضعًا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله، بل وضع فعله ذلك في موضعه، وفعل بهم ما هم أهله. لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون، ولأمره مُتبعون، ولرسله مصدقون، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون، ولأمره مخالفون، ولرسله مكذبون، بعد تقدُّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عامل إلا مع إخلاص التوحيد له، والإقرار بنبوة أنبيائه، وتصديق ما جاءؤهم به، وتوكيده الحجج بذلك عليهم. فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك الإعذار إليه من إحباط عمله له ظالمًا، بل الكافر هو الظالم نفسه؛ لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره، ما أوردتها به نار جهنم، وأصلاها به سكير سقر.

الرابعة: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧)

مضت وسلفت فيمن كان قبلكم -يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط، وغيرهم من الأمم قبلكم- سنن؛ يعني: مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين





أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، بِإِمْهَالِي أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ، وَاسْتَدْرَاجِي إِيَّاهُمْ، حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابَ فِيهِمْ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتَهُ؛ ثُمَّ أَحَلَلْتُ بِهِمْ عِقُوبَتِي، وَأَنْزَلْتُ بِسَاحَتِهِمْ نِقَمِي، فَتَرَكْتَهُمْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَمْثَالًا وَعِبْرًا، فَسَيَرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَائِي، وَإِنْكَارِهِمْ وَحِدَانِيَّتِي.





سُورَةُ النِّسَاءِ



ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ (١).

احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قبيل لكم به.

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعرِّفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبِّههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبٌ حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بُعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض؛ ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾؛ يعني: من آدم.

★ الثانية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ (٣٤).

الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم؛ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني بما فضل الله





در من تفسير الطبري

به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إياهن مؤنهن؛ وذلك تفضيل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** إياهم عليهن؛ ولذلك صاروا قوامين عليهن نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن.

★ الثالثة: ﴿... وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ بِ
وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ
فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾. ﴿٣٤﴾

[أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤديها بالأسهل فالأسهل، ﴿فَعِظُوهُنَّ بِ﴾؛ أي: بيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع؛ بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم]. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾. فإن أطعنكم أيها الناس نساؤكم اللاتي تخافون نشوزهن عند وعظكم إياهن فلا تهجروهن في المضجع، فإن لم يطعنكم فاهجروهن في المضجع واضربوهن، فإن رجعن إلى طاعتكم عند ذلك ورجعن إلى الواجب عليهن؛ فلا تطلبوا طريقاً إلى أذهن ومكروههن.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ إن الله ذو علو على كل شيء، فلا تبغوا [ولا تعتدوا] أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق لعلو أيديكم على أيديهن، فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء،



درر من تفسير الطبري

وأعلى منكم عليهن، وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن وهن لكم مطيعات؛ فينتصر لهن منكم ربكم الذي هو أعلى منكم ومن كل شيء، وأكبر منكم ومن كل شيء.

★ الرابعة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ ﴾ (٧٧)

ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ، وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ؛ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ.

[وقل يا محمد لهؤلاء الذين يخافون القتال ويخشون أن يُقتلوا في المعركة بأن] ﴿ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾؛ أي إن عيشكم في الدنيا وتمتعكم بها قليل، لأنها فانية وما فيها فانٍ، (والآخرة خير)؛ يعني: ونعيم الآخرة خير؛ لأنها باقية، ونعيمها باقٍ دائم.

★ الخامسة: ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ... ﴾ (٧٨)

حيثما تكونوا يَنَلِكُمُ الْمَوْتُ فتموتوا ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾، يقول: [لا تخافوا] من الموت، ولا تهربوا من القتال، وتضعفوا عن لقاء عدوكم،





در من تفسير الطبري

حذرًا على أنفسكم من القتل والموت، فإن الموت [بجانبكم] أين كنتم،
وواصل إلى أنفسكم حيث كنتم، ولو تحصّتم منه بالحصون المنيعة.

★ السادسة: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

لا [يستوي] المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله، المؤثرون الدعة [والراحة] والعود في منازلهم على مقاساة الأسفار والسير في الأرض، ومشقة ملاقات أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، إلا أهل العذر منهم بذهاب أبصارهم، وغير ذلك من العلة التي لا سبيل لأهلها إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله؛ [فالقاعدون بدون أعداء لا يستوون؛] هم والمجاهدون في سبيل الله، [الذين يجاهدون] لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم بأموالهم، إنفاقاً لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الإيمان بالله، وبأنفسهم مباشرة؛ لتكون كلمة الله العلية، وكلمة الذين كفروا السافلة.

★ السابعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: إن الذين يكفرون بالله ورسوله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، بأن يكذبوا رسل الله الذين



درر من تفسير الطبري

أرسلهم إلى خلقه بوحيه، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ يعني يقولون: نصدق بهذا ونكذب بهذا. كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدًا -صلى الله عليهما وسلم-، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم. وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم.

فقال جل ثناؤه لعباده، منبهاً لهم على ضلالتهم وكفرهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقاً. فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرؤون بما زعموا أنهم به مقرؤون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كذبةٌ. وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدق ببعض ذلك وكذب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب. وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون؛ لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسوله الذين يزعمون أنهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه حق الجحود، المكذبون بذلك حق التكذيب. فاحذروا أن تغتروا بهم، فإننا قد أعتدنا لهم عذاباً مهيناً.



★ الثامنة: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾ .

يعني بذلك: والذين صدّقوا بوحدانية الله، وأقروا بنبوة رسله أجمعين، وصدّقوهم فيما جاؤوهم به من عند الله من شرائع دينه، ولم يفرقوا بين أحد منهم؛ أي: ولم يكذبوا بعضهم ويصدقوا بعضهم، ولكنهم أقرّوا أن كل ما جاؤوا به من عند ربهم حق، أولئك هؤلاء -الذين هذه صفتهم- من المؤمنين بالله ورسله، وسوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على تصديقهم الرسل في توحيد الله وشرائع دينه، وما جاءت به من عند الله، وكان الله غفوراً يغفر لمن فعل ذلك من خلقه ما سلف له من آثامه، فيستر عليه بعفوه له عنه، وتركه العقوبة عليه، فإنه لم يزل لذنوب المنيين إليه من خلقه غفوراً، ولم يزل بهم رحيمًا، بتفضله عليهم بالهداية إلى سبيل الحق، وتوفيقه إياهم لما فيه خلاص رقابهم من النار.



سُورَةُ الْمَائِدَةِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله
شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم
فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصروا فيما
حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن
انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري.

ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم
بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

★ الثانية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ
مِّنَ الرَّسْلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾

[يقول تعالى مخاطبًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى: إنه قد أرسل
إليهم رسوله محمدًا خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول؛ بل هو المعقب



لجميعهم؛ ولهذا قال: ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾؛ أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرسال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعيسى بن مريم، كي لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، يُعلمهم تعالى أنه قد قطع عذرهم برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبلغ إليهم في الحجة.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بِشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [يخاطب الله اليهود والنصارى فيقول لهم] قد أعذرنا إليكم، واحتججنا عليكم برسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليكم، وأرسلناه إليكم لبيِّن لكم ما أشكل عليكم من أمر دينكم، كيلا تقولوا: لم يأتنا من عندك رسولٌ بيِّن لنا ما نحن عليه من الضلالة. فقد جاءكم من عندي رسول يبشر من آمن بي وعمل بما أمرته وانتهى عما نهيته عنه، وينذر من عصاني وخالف أمري، وأنا القادر على كل شيء، أقدر على عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني، فاتقوا عقابي على معصيتكم إياي وتكذيبكم رسولي، واطلبوا ثوابي على طاعتكم إياي وتصديتكم بشيري ونذيري، فإني أنا الذي لا يعجزه شيء أرادته، ولا يفوته شيء طلبه.

★ الثالثة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ...﴾ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه -محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجديد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فلا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثرت أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله



درر من تفسير الطبري



يوم القيامة وإن قُلُّوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون
الخائبون وإن كثروا.

فلا تعجبَنَّ من كثرة من يعصى الله فيمُهلُه ولا يعاجله بالعقوبة، فإن
العُقْبَى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم.



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

ومنها هذه الدرّة:

★ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ
مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبن الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيراً أو كبيراً، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناساً مجنسةً وأصنافاً مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سُخِّرَتْ له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومُثِبَّتْ كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتهاً ثم منشراً ومجازيها يوم القيامة جزاءً أعمالها. يقول: فالرب الذي لم يضيع حفظاً أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أخرى [وأولى] أن لا يضيع أعمالكم، ولا يُفَرِّط في حفظ أفعالكم التي تجرّحونها أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم [يعطه] غيركم في الدنيا،



درر من تفسير الطبري



وكنتم بشكره أحقّ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى، لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميّزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطيّر، الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرّقون.





سُورَةُ الْاِعْرَافِ

ومنها هذه الدرّة:

★ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾

هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم، فأحوجه إلى أن لا يسجد له، واضطره إلى خلافه أمره به، وتركه طاعته؟ أن المانع كان له من السجود، والداعي له إلى خلافه أمر ربه في ذلك: أنه أقوى منه قوة، وأفضل منه فضلاً لفضل الجنس الذي منه خلق؛ وهو النار، على الذي خلق منه آدم؛ وهو الطين. فجهل عدو الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب. إذ كان معلوماً أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علواً، والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حمل الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق، على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه؛ فأورثه [الخسارة] والهلاك. وكان معلوماً أن من جوهر الطين الرزانة والأنانة والحلم والتثبت وذلك الذي هو في جوهره من ذلك، كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق، إلى التوبة من خطيئته، ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: أول من قاس إبليس. يعينان بذلك القياس الخطأ.



درر من تفسير الطبري



وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله، وبعده من إصابة الحق، في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه؛ من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كل شيء، مع سائر ما خصه به من كرامته؛ [فترك] الجاهل ذلك كله، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلق من نار وخلق آدم من طين! وهو في ذلك أيضًا له غير كفاء، لو لم يكن لأدم من الله جل ذكره تكريمة شيء غيره، فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده، ويملّ إحصاؤه؟



سُورَةُ الْأَنْفَالِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّهُ
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨).

واعلموا - أيها المؤمنون - أنها أموالكم التي [أعطاكم] الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم؛ لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاه إلى أمره ونهيه فيها.

واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها؛ تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.

★ الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦).

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم، فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوا بها على قتال المؤمنين به؛ ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسيفقون أموالهم في ذلك،



درر من تفسير الطبري

ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة وندامة؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله؛ لأن الله مُعَلِّي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم؛ فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك!

أما الحيي [منهم]؛ فذهب ماله باطلاً في غير نفع، ورجع مغلوباً مقهوراً محروباً مسلوباً. وأما الهالك؛ فقتل وسلب، وعُجِّل به إلى نار الله يُخَلَّد فيها، نعوذ بالله من غضبه.

★ الثالثة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعال التي يُرَجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصره عليهم والظفر بهم. حيث يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هارين، واذكروا الله كثيراً، وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألستكم ذكر الله؛ لعلكم تفلحون وتظفرون بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم.



سُورَةُ يُوسُفَ



ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥).

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتها؛ فإن مصيرها إلى فناءٍ وزوالٍ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدّها لأوليائه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سبباً للوصول إلى رضاه، وطريقاً لمن ركبته وسلك فيه إلى جنانه وكرامته.

★ الثانية: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ

وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١).

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، السائلين الآيات على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا - أيها القوم - ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله؛ من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدّعها بنباتها،



درر من تفسير الطبري

وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبراً، ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغنيكم عما سواه من الآيات.

يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وما تغني الحجج والعبء والرسول المنذرة عباد الله [من] عقابه، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدّقون به. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧].

★ الثالثة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٠٣].

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم ننجي هناك رسولنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن آمن به وصدقته واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكتنا أمهم؛ فأنجيناهم ومن آمن بهم من عذابنا حين حقّ على أمهم ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناهم والمؤمنين، وأهلكتنا [الآخرين]، كذلك نفع بك يا محمد، وبالمؤمنين؛ فننجيك و ننجي المؤمنين بك، حقاً علينا غير شك.



سُورَةُ هُودٍ



ومنها هذه الدرّة:

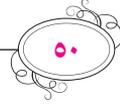
★ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به؛ لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلّالته، يتردّد في حيرته.

والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان؛ أبصر حجج الله، وأقرّ بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.

ثم يقول الله: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس؟ فإنهما لا يستويان عندكم، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله، ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾؛ أي أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتنجزوا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟





سُورَةُ يُوسُفَ

ومنها جمعت هاتين الدرّتين:

★ الأولى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره: [يا محمد] هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ولم تعينه، ولكننا نوحيه إليك ونعرفك به؛ لنثبت به فؤادك، ونشجع به قلبك، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعرف، وأعرضوا عن الجاهلين؛ فازوا بالظفر، وأيدوا بالنصر، ومكنوا في البلاد، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله. يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنبية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيهم، يا محمد، فتأس، وآثارهم فقصّ.

★ الثانية: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ (١١١)

لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل العقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها. وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الحب ليهلك، ثم بيع ببيع العبيد بالحسيس من الثمن، وبعد [العبودية] والحبس الطويل؛ ملكه مصر، ومكن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من





إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيّه محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعدّر عليه فعلٌ مثله بمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فيخرجه من بين أظهركم، ثم يُظهِره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجنود والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرّت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان؛ [وهذا الذي حصل؛ إذ مكّن الله لنبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ودخل مكة فاتحاً، بعد نزول هذه السورة بعشر سنين].



سُورَةُ الرَّعِيدِ

ومنها جمعت هاتين الدرّتين:

★ الأولى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ۞ .

هذا مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله [وانتهائه]، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ۞ ﴾؛ أي: فاحتلمته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۞ ﴾، فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحد مثلي الحق والباطل؛ فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا يُتَفَعُّ به هو الباطل.

والمثل الآخر: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ ۞ ﴾ يقول جل ثناؤه: ومثل آخر للحق والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به ﴿ زَبَدٌ مِثْلَهُ ۞ ﴾ يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه





در من تفسير الطبري

من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: [أن الباطل] مثل زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلاً كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلاً.

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبداً مثل زبد السيل في بطلان زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ يقول: كما مثل الله مثل الإيمان والكفر في بطلان الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة؛ كذلك يمثل الله الحق والباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادي ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس؛ فالماء يمكث في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.

★ الثانية: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي﴾ (٣٢).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيباً منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامضِ لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم؛ فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خلت برسلي، فأطلت لهم في المهل، ومددت لهم في الأجل؛



درر من تفسير الطبري



ثم أحللتُ بهم عذابي ونقمتي حين تَمَادَوْا في غيِّهم وضلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرةً لأولي الألباب؟





سُورَةُ النَّحْلِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

★ الأولى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

شَبَّه [الله] لكم شَبَّهًا أيها الناس للكافر من عبده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر؛ فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرًا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه.

وأما المؤمن بالله؛ فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله، كالحُرِّ الذي آتاه الله مالًا فهو ينفق منه سِرًّا وَجَهْرًا ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ يقول: هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئًا ولا يقدر عليه، وهذا الحرُّ الذي قد رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق كما وَصَفَ، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته.

★ الثانية: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)

وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى



درر من تفسير الطبري

ذكره: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ** ﴾
يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت،
وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرر عنه وهو كَلٌّ
على مولاه؛ (أي عالة وتعب وعبء) على [ولي أمره ومن يقوم به]، فكذلك
الصنم كَلٌّ (أي تعب وعبء) على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه،
كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كَلٌّ على أوليائه ﴿ **أَيْنَمَا**
يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ يقول: حيثما يوجهه لا يأتي بخير، لأنه لا يفهم ما
يُقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد؛ فهو لا يفهم، ولا يُفهم عنه،
فكذلك الصنم؛ لا يعقل ما يُقال له، فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق فيأمر
وينهي، يقول الله تعالى: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** ﴾ يعني: هل
يستوي هذا الأبكم الكَلٌّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه، ومن
هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو
عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي
صفته ما وصف.

وقوله: ﴿ **وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ يقول: وهو مع أمره بالعدل،
على طريق من الحق في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يعوجج عن الحق
ولا يزول عنه.



★ الثالثة: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١١).

يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقاً لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه، ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، [فتنقضوا] أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، يقال: وكّد فلان يمينه يوكدّها توكيداً: إذا شددّها. وقوله: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعياً يراعى الموفّي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

[فهذه الآية تدل على] أن الله تعالى أمر عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكّدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، والله مُحْصٍ ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها وعمّا عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبّل لكم به [ولا طاقة لكم به] من أليم عقابه.



★ الرابعة: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٩٥ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴿ ٩٦ ﴾ .

يقول تعالى ذكره: ولا تشتروا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضاً من الدنيا قليلاً، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يثبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، حيث فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به.

ثم بيّن تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا - وإن كثر - فنافذٌ فإن [يزول ولا يبقى]، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باقٍ غير فإن، فلما عنده فاعملوا، وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا.



سُورَةُ الْاِنشَاءِ

ومنها جمعت هاتين الدُّرَّتَيْنِ:

★ الأولى: ﴿وَيَدْعُ الْاِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ مَجْهُولًا ۝۱۱﴾.

يقول تعالى ذكره مذكراً عباده: ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر، فيقول: اللهم أهلكه والعنه [حيث يدعو بهذا الدعاء على ولده وغيره] عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له في الخير لهلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك.

★ الثانية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝۲۹﴾.

هذا مثل ضربه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئاً إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع



درر من تفسير الطبري

بسطها ﴿وَلَا نَبْطُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطاء كلَّ البسط، فتبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سُئِلت شيئاً تعطيه سائلك ﴿فَنَقَعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسورًا: يقول: معيبًا، قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه.



سُورَةُ طه



ومنها هذه الدرّة:

★ ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴾ ﴿١٧﴾ .

ولعل قائلاً أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالماً بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحوّها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حية تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.



سُورَةُ عَبَّاسٍ

ومنها هذه الدرّة:

★ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (٥١)

يقول القائل: وما معنى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كيحيى بن زكريا [وأبيه زكريا] وأشباهما. ومنهم من همّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجياً بنفسه؛ كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رُفِعَ إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، و المؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نُصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ وجهين كلاهما صحيح معناه؛ أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا؛ إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظفارنا بهم؛ حتى يقهروهم غلبة، ويدلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم؛ كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه؛ من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل





درر من تفسير الطبري

بموسى وفرعون وقومه؛ إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم؛ كفعلنا بقتلة يحيى؛ من تسليطنا بختنصر عليهم؛ حتى انتصرنا به من قتله له، وكان نصارنا لعيسى من مردي قتله بالروم؛ حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.



سُورَةُ الْمُطَفِّينَ

ومنها هذه الدرّة:

★ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ .

يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَفِّفون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفّف: المقلل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن.

يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ، يستوفون لأنفسهم؛ فيكتالونه منهم وافيّاً، وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم، فيقول الله: ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس في مكييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم.





المحتويات

٧.....	المقدمة
٩.....	من هو ابن جرير الطبري؟
١٤.....	سورة الفاتحة
١٦.....	سورة البقرة
٢٨.....	سورة آل عمران
٣٢.....	سورة النساء
٣٨.....	سورة المائدة
٤١.....	سورة الأنعام
٤٣.....	سورة الأعراف
٤٥.....	سورة الأنفال
٤٧.....	سورة يونس
٤٩.....	سورة هود
٥٠.....	سورة يوسف
٥٢.....	سورة الرعد
٥٥.....	سورة النحل
٥٩.....	سورة الإسراء
٦١.....	سورة طه
٦٢.....	سورة غافر
٦٤.....	سورة المطففين



صدر المؤلف

